محاضرة 9: نظريات الاتصال:

الاتصال هو تبادل المعاني بين الأفراد عبر نظام مشترك من الرموز وهو يتكوَن من عدَة أنماط أهمها:

1- الاتصال العمودي: وهو الاتصال الذي يقوم على إرسال الرسالة والمعلومة باتجاه واحد.

2- الاتصال الأفقي: وهو الاتصال الذي يتم على مختلف المستويات وفي جميع الاتجاهات.

وللاتصال نظريات كثيرة تفسَره وهي خلاصة نتائج الباحثين والدارسين للاتصال الإنساني الذين حاولوا التحكم في ظاهرة الاتصال والتنبؤ بتطبيقاتها وأثرها في المجتمع، وفي واقع الأمر فإن استخدام تعبير نظريات الاتصال كان في مجمله انعكاسا للحديث عن ايديولوجيات ومعتقدات اجتماعية واقتصادية فهي تتعلق بالسياسة وأساليب السيطرة والحكم، وأهم هذه النظريات:

1- نظرية السلطة: ظهرت هذه النظرية في انجلترا في القرن 16 وتعتمد على نظريات أفلاطون وماكيافيللي وترى أنَ الشعب غير جدير على أن يتحمل المسؤولية أو السلطة فهي ملك للحاكم، وتعمل هذه النظرية على الدفاع عن السلطة ويتم احتكار تصاريح وسائل الإعلام حيث تقوم الحكومة بمراقبة ما يتم نشره كما يحظر على وسائل الإعلام نقد السلطة الحاكمة. وتعتبر تجربة هتلر وفرانكو أهم مثال على هذه النظرية وقد عبَر هتلر عن ذلك بقوله:" أنه ليس من عمل الصحافة أن تنشر على الناس اختلاف الآراء بين أعضاء الحكومة لقد تخلصنا من مفهوم الحرية السياسية التي يذهب إلى القول بأنَ لكل فرد الحق في أن يقول ما يشاء".

2- نظرية الحريَة: ظهرت في بريطانيا عام 1688 ثم انتشرت في أوربا وأمريكا وترى هذه النظرية أنَ الفرد حر في نشر ما يعتقد أنه صحيح وترفض هذه النظرية الرقابة أو مصادرة الفكر، ومن أهداف هذه النظرية تحقيق أكبر قدر من الربح المادي من خلال الإعلان والدعاية، وتدعو هذه النظرية إلى فتح المجال لتداول المعلومات بين الناس بدون قيود من خلال جمع ونشر وإذاعة هذه المعلومات عبر وسائل الاتصال كحق مشروع للجميع.

3- نظرية المسؤولية الاجتماعية: ظهرت هذه النظرية بعد الحرب العالمية الثانية بالولايات المتحدة الأمريكية، وتقوم على مبدأ ممارسة العملية الإعلامية بحرية قائمة على المسؤولية الاجتماعية، أي أنَ هناك آداب لمهنة الإعلام من أهمها: عدم التدخل في الحياة الخاصَة

للأفراد، وأيضا عدم نشر ما يساعد على الجريمة والعنف، وهناك معايير يجب احترامها كالصدق والموضوعية والتوازن والدقَة.

4- النظرية التنموية: ظهرت في الثمانينات من القرن الماضي وتقوم على الأفكار والآراء التي وردت في تقرير لجنة " واك برايل" حول مشكلات الاتصال في العالم الثالث ومن أهم مبادئها أنها تعارض التبعية وسياسة الهيمنة الخارجية وتعمل على تأكيد الهوية الوطنية والسيادة القومية والخصوصية الثقافية للمجتمعات.

5- نظرية المشاركة الديمقراطية: تعتبر هذه النظرية أحدث إضافة لنظريات الاتصال ، ويعبر مصطلح " المشاركة الديمقراطية" عن معنى التحرَر من وهم النظام البرلماني الديمقراطي في المجتمعات الغربية الذي أصبح يسيطر على ساحة الإعلام متجاهلا الأقليات والقوى الضعيفة في المجتمع، وتركز هذه النظرية على حق المواطن في استخدام وسائل الاتصال من أجل التفاعل والمشاركة على نطاق صغير في منطقته ومجتمعه وهي بذلك ترفض المركزية أو سيطرة الحكومة على الإعلام ولكنها تشجع التعددية والمحليَة والتفاعل بين المرسل والمستقبل والاتصال الأفقي الذي يشمل كل مسؤوليات المجتمع.

نظرية هايمز Hymes أو نموذج "Speaking ": تتكوَن هذه النظرية من العناصر التالية:

1- الوضعية Setting تحتوي على إطار العملية الاتصالية (الحيَز الزماني والمكاني المخصص من قبل المرسل للتبادل الاتصالي) وكذا الإطار السيكولوجي النفسي للأشخاص (المرسل + المتلقي + المشاركين).

2- المشاركون les participants نقصد بهم كل من يشاهد أو يستمع أو يلاحظ اللقاء (إضافة إلى المرسل والمتلقي) وكل هؤلاء يؤثرون على مجرى الاتصال.

3- الأهداف Ends :

أ ـ الأهداف النوايا objectifs intentions هي النتائج المتوقَعة من العملية الاتصالية.

ب ـ الأهداف النتائج objectifs résultats هي النتائج غير المتوقعة من العملية الاتصالية.

4- الأفعال acts: أي مضمون الرسالة وأشكالها المختلفة.

5- النبرة keys : إنَ الأفعال المماثلة في إطار نفس العملية الاتصالية يمكن أن تختلف دلالتها باختلاف النبرات التي قيلت بها (مثال: قد يتحول الشتم إلى مزاح نبرات صوتية هزلية).

6- الوسائل instrumentalitis : تضم في آن واحد قنوات وأشكال الكلام واستعمال اللهجات والعبارات التي لا تمثَل معنى إلاَ عند الأشخاص المقرَبين.

7- المعايير Norms وتتضمَن:

أ ـ معايير التفاعل: كالتناوب في أخذ الكلمة أو إبراز اهتمامنا بما يقوله الآخر بمختلف أساليب الاتصال غير اللغوي (بالتصفيق مثلا).

ب ـ معايير تفسيرية: نستعملها لفتح العملية الاتصالية كقولنا للمتلقي: كيف حالك؟ ليجيب: الحمد لله، لابأس، بخير...